

## كتب بالعبرية

### ”الحفرة”: الأسرار الخفية وراء أخطر أزمة قيادة

#### في تاريخ الجيش الإسرائيلي

دان مرغلين ورونين برغمان

إسرائيلي: دار كينيرت زمورا - بيتان، دافير ٢٠١١.

والتي تحولت إلى حرب خفية، وصراع أجهزة على النفوذ والسلطة، هو أقرب إلى صراع إخوة السلاح على المناصب العليا.

ويطرح الكتاب كثيراً من الأسئلة بشأن مستقبل أهم مؤسسة في الدولة العبرية، هي المؤسسة العسكرية، أو العمود الفقري للدولة العبرية.

وقد اعتمد مؤلفا الكتاب دان مرغلين ورونان بيرغمان نموذج الكتابة الصحافية الاستقصائية، وحاولا اعتماد الحد الأقصى من الموضوعية في عرض وجهات نظر الأطراف كلها، ومزجا في كتابهما بين العرض التاريخي لعمل الأجهزة العسكرية وبين النظرة النقدية، وقدّما السير الذاتية للشخصيات الأساسية التي يتناولها الكتاب مع تحليل للدوافع الخفية التي من شأنها أن تفسر سلوك تلك الشخصيات وتشرح موقفها. وتعمّد الكاتبان سرد كثير من التفاصيل، ثم قاما بربطها

تأتي قبل أي شيء، فما جاء في الكتاب يؤكد العكس، ذلك بأن الصراع الشرس على المناصب داخل قيادة المؤسسة الأمنية يجرف معه الاعتبارات الأمنية والأخلاقية في آن معاً. نتعرف من خلال فصول الكتاب إلى الصراعات والخلافات التي دارت بين إيهود باراك خلال الفترة التي تولى فيها وزارة الدفاع في سنة ٢٠٠٧، وبين اللواء غابي أشكنازي الذي كان يتولى حينها رئاسة أركان الجيش، والنتائج التي تسببت بها العلاقة المتوترة التي كانت قائمة بين مكتب وزير الدفاع، ومكتب رئيس أركان الجيش وحاشيته،

هذا الكتاب **يُعتبر** من أبرز الكتب الإسرائيلية التي تتناول قضايا الفساد داخل القيادة العليا للجيش الإسرائيلي، وقراءته تتيح فرصة التعرف عن قرب إلى الصراعات الداخلية بين كبار ضباط الجيش وتسابقهم على المناصب، والخلافات الشخصية الدائرة وراء كواليس القيادات العليا للجيش وداخل الأجهزة الأمنية المتعددة. والصورة التي قدّمها هذا الكتاب عن قيادات الجيش تختلف عن الصورة المثالية التي تحاول أن تقدمها إسرائيل لجيشها بصفته ”جيش الشعب”، وأن مصلحة الوطن

هيرباز خلصة من مكتب وزير الدفاع باراك عبر جواسيس و"عيون" له في الداخل، أو بواسطة عمليات تسلل غير قانونية إلى مكتب وزير الدفاع، يتقنها هيرباز جيداً نتيجة عمله أعواماً في فرقة العمليات الخاصة في الجيش الإسرائيلي، والتي تملك أكبر شبكة جمع للمعلومات بين الأجهزة الاستخباراتية الإسرائيلية.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: ما الأسباب التي يمكن أن تدفع بعسكري سابق إلى تزوير وثيقة دفاعاً عن أهم مسؤول في المؤسسة العسكرية؟ ومن أين له الجرأة على توريط أهم وزير في الحكومة الإسرائيلية؟ وما مصدر الثقة الكبيرة التي يشعر بها هيرباز كي يتلاعب بحقائق كبيرة وبمؤسسات ضخمة من دون أن يهاب العواقب؟ وفي النهاية من هو بوعاز هيرباز؟ وما سر علاقته برئيس الأركان السابق غابي أشكنازي؟

### قصة الثنائي هيرباز -

#### أشكنازي

يسلّط واضع الكتاب الضوء على الأوضاع

المذكورة بالوثيقة، وأنها مزورة، الأمر الذي دفع مديرها إلى التوجه إلى الشرطة ورفع شكوى تزوير. وهنا بدأت القضية تأخذ طابعاً آخر أشبه بالقصص البوليسية، ولا سيما بعدما اتضح أن الذي وراء هذه الوثيقة هو عقيد سابق في الجيش الإسرائيلي يُدعى بوعاز هيرباز، الذي يُعتبر من المقربين من رئيس الأركان غابي أشكنازي تحديداً، وأن المؤامرة ليست من صنع مكتب باراك ضد أشكنازي، وإنما هي من فعل المقربين من أشكنازي لإحراج باراك واستبعاد تعيين غالانت، وأن البطل الأساسي لهذه الفضيحة هو بوعاز هيرباز.

لقد أثبت التحقيق الذي أجرته الشرطة أن بوعاز هيرباز سرق لوغو الشركة الاستشارية الإسرائيلية من رسالة وصلته سابقاً، واستخدمه في كتابة وثيقة تهدف إلى إحراج وزير الدفاع، والضغط عليه للتمديد لأشكنازي عاماً خامساً. لكن المذهل في المسألة أن الوثيقة اشتملت على عدد من الحقائق الواقعية، واستندت إلى معلومات سرّية حصل عليها

بعضها بالبعض الآخر من أجل استخراج الصورة العامة.

### الوثيقة المزورة

محور الكتاب هو قضية التزوير المعروفة باسم "وثيقة غالانت"، وهي وثيقة مزورة جرى تسريبها إلى وسائل الإعلام الإسرائيلية خلال آب / أغسطس ٢٠١٠، وتضمنت مقترحات مقدمة إلى وزير الدفاع إيهود باراك لإبعاد غابي أشكنازي عن منصب رئاسة الأركان وعدم التمديد له عاماً خامساً، وتعيين اللواء يوآف غالانت رئيساً للأركان محله. وكان لنشر مقاطع من هذه الوثيقة في الإعلام وقعاً شديداً لأنها فضحت الصراع والخلافات داخل قيادة المؤسسة الأمنية، ووضعت وزير الدفاع ومكتبه في وضع حرج، وصوّرتُهما على أنهما يتآمران على كبار ضباط الجيش الإسرائيلي. وحملت الوثيقة المزورة

لوغو شركة استشارات سياسية إسرائيلية معروفة تولّت في الماضي حملات انتخابية لكبار الشخصيات السياسية، لكن سرعان ما تبين أن لا علاقة للشركة

التي جمعت بين شخص مثل هيرباز المعروف بماضيه الاحتياالي داخل المؤسسة العسكرية، والذي سُرح بصورة مبكرة من الجيش بعد التحقيق معه بسبب سلوكه غير المهني والانتهاكات الكثيرة التي ارتكبها واستغلاله منصبه العسكري لمأربه الشخصية، وبين غابي أشكنازي العسكري الطموح والجاد الذي ارتقى في السلك العسكري بسبب شجاعته وكفاءته. فماذا يمكن أن يجمع بين عسكري ناصع السجل مثل أشكنازي وبين محتال مثل هيرباز؟

يبرز هيرباز من خلال السيرة الذاتية التي يقدمها له مؤلفا الكتاب نموذجاً للشخص الذي يجمع الذكاء والاحتياال، والقادر على تحقيق ما يريد من خلال شبكة علاقات شخصية، وذلك عبر الخدمات التي يقدمها لمن حوله. فمنذ دخوله إلى الجيش في سنة ١٩٨٨، وتوليه منصب الضابط المسؤول عن الذخيرة، سرعان ما ظهرت مهارته في عقد صلات وثيقة مع كبار الضباط وأصحاب المراكز

الحساسة. وقد عُيّن بفضل هذه العلاقات في "سييرت متكال"، وهي من الفرق الخاصة في الجيش التي على صلة مباشرة بالاستخبارات العسكرية، والموكلة القيام بعمليات داخل أراضي العدو، والتي سبق أن خدم فيها كبار المسؤولين العسكريين بينهم إيهود باراك. ومن خلال هذا المنصب حصل على صلاحيات كبيرة، وباتت له صلة مباشرة بالقيادات العليا في الجيش، كما وُضعت في تصرفه ميزانيات وموارد ضخمة.

بدأت العلاقة بين هيرباز وأشكنازي عندما كان هذا الأخير يتولى منصب رئيس شعبة العمليات الخاصة في رئاسة الأركان خلال الفترة ١٩٩٤ - ١٩٩٦. وساعدت هذه العلاقة على أن يتعرف أشكنازي إلى ما يدور في فرقة النخبة، وما يُحضر فيها من عمليات سراً، والتي على ما يبدو لا يعرف بها سائر المسؤولين العسكريين، الأمر الذي يعكس حقيقة مهمة داخل عمل الأجهزة العسكرية هي تمتّع بعضها باستقلالية تامة في العمل والحركة، وهو ما يميزها من سائر الفرق ويجعلها مدعاة

للحسد والمنافسة. وخلال عمله في الجيش نجح هيرباز في الدخول إلى عدد كبير من الأجهزة، والاطلاع على كثير من الأسرار، وإقامة شبكة من العلاقات مع العديد من المسؤولين الأساسيين داخل الأجنحة المتنوعة للجيش بفضل الخدمات التي كان يقدمها لهؤلاء، كما أقام علاقات وطيدة مع أشخاص أقل مرتبة يعملون في هذه الأقسام، وتحولوا إلى مخبرين ينقلون إليه ما يجري في الغرف المغلقة. فإذا أضفنا إلى ذلك علاقة هيرباز بفرقة ٨٢٠٠، وهي "قلب الاستخبارات العسكرية" كما يسميها الكاتبان، والتي تتألف من أكثر من ٢٠٠٠ عسكري، وتحظى بميزانيات ضخمة، وهي المسؤولة عمّا يُسمى "Signal Intelligence"، والموكل إليها ضمن مهمات أخرى مراقبة جميع الرسائل التي يجري تبادلها داخل الأجهزة الأمنية، لاستطعنا تصوّر كمية العلوم السريّة التي يستطيع هيرباز الحصول عليها. وفي المقابل، تبدو صورة أشكنازي النقيض لهيرباز،

كان ينقلها هيرباز شكوك أشكنازي في أن باراك يريد التخلص منه وتعيين رئيس أركان جديد بدلاً منه هو يوآف غالانت. وفي سنة ٢٠١٠ خرج الخلاف بين وزير الدفاع ورئيس الأركان إلى العلن، وبات أشكنازي يشعر بأنه بحاجة إلى دليل أو إثبات حسي يبرهن أن وزير الدفاع يتأمر عليه. وربما هكذا وُلدت فكرة الوثيقة المزورة. في التحقيق الذي أجرته الشرطة مع هيرباز الذي غيّر شهادته أكثر من مرة، اعترف بأنه هو وحده صاحب فكرة الوثيقة المزورة، وقد أثبت للمحققين في الشرطة قدرته على كتابة مثله في أي وقت، وبشأن أي جهاز. وعندما تحدّاه المحققون أن يفعل ذلك، كتب وثيقة تفضح أسراراً لا يعرفها أحد تتعلق بالخلافات الداخلية داخل الشرطة.

لكن على الرغم من قدرة هيرباز على الوصول إلى معلومات ومعطيات حقيقية لما يجري داخل المؤسسات الأمنية للدولة، فإن من الصعب التصديق أن أشكنازي لم يكن يعرف

أخيراً تحقيق حلمه. وكانت المهمة المنوطة به إعادة بناء الجيش بعد التقصيرات التي أظهرتها حرب تموز / يوليو ٢٠٠٦. ويعرض الكتاب كيف ترافق صعود أشكنازي مع عودة هيرباز مجدداً إلى الجيش بعد تسريحه، وكيف أسقطت هذه التهم عنه في سنة ٢٠٠٥، وكيف تحوّل هيرباز إلى شخص مقرب جداً من أشكنازي ومن مدير مكتبه، وكيف كان الجميع يدرك أن التقرب من هيرباز يساعدهم في الوصول إلى أشكنازي.

خلال توليه منصب رئيس الأركان تحوّل أشكنازي، وفق شهادات الذين حولته، إلى شخص متسلط لا يتحاور مع الضباط، ويأخذ برأي أشخاص من خارج الجيش، كثير الشكوك ولا يثق بأحد، والأخطر من ذلك أنه كان على ثقة بأن وزير الدفاع ومدير مكتبه يتأمران عليه. ومن هنا بروز شخص مثل هيرباز الذي كان قادراً على أن ينقل ما يجري في مكتب وزير الدفاع لإيهود باراك إلى مدير مكتب أشكنازي. وعززت المعلومات التي

إذ لا شيء في مسيرته العسكرية يشبه مسيرة هذا الأخير. فأشكنازي مثال العسكري الذي وهب الجيش حياته، لكن مشكلته كانت أنه شخص شديد الطموح، وحلمه هو الوصول إلى أعلى منصب في الجيش، أي رئاسة الأركان. وقد دفعه هذا التوق الشديد إلى تحقيق هدفه، إلى أن يجد في العلاقة بشخص مثل هيرباز وسيلة للوصول إلى ما يطمح إليه، ولا سيما في ظل أهمية العلاقات الشخصية بين كبار المسؤولين ومكانتهم ونفوذهم.

في سنة ٢٠٠٥ كان أشكنازي المرشح الأكثر حظاً ليحل محل رئيس الأركان موشيه يعلون، لكن وزير الدفاع آنذاك، شاؤول موفان، قرر تعيين قائد سلاح الجو دان حالوتس، الأمر الذي وُلد لديه خيبة أمل كبيرة، فقدّم استقالته من الجيش، ولم يعد إليه إلا بعد أن عينه عمير بيرتس، وزير الدفاع آنذاك، مديراً عاماً لوزارة الدفاع، وأصبح اليد اليمنى للوزير. وبعد استقالة دان حالوتس في إثر حرب تموز / يوليو ٢٠٠٦، عُيّن أشكنازي رئيساً لأركان الجيش، واستطاع

بأن الوثيقة مزورة، وأنه لم يشك في صحتها، إن لم يكن هو الذي طلب من هيرباز كتابتها.

وبغض النظر عما إذا كان أشكنازي متواطئاً أم لا، فقد أظهرت التحقيقات أن هيرباز كان على علاقة وثيقة بزوجة أشكنازي رونيت، وأنه كثيراً ما قام بمهمات لها ولزوجها. ويلمّح الكاتبان أيضاً إلى إمكان تورط زوجة أشكنازي في الموضوع دفاعاً عن مصالح زوجها، إذ إنها، كما يصفها مؤلفا الكتاب، "كاتم أسرار" أشكنازي.

### تمرد العسكر

في النهاية لم يجز التمديد لأشكنازي، لكن تعيين يوآف غالانت رئيساً جديداً للأركان فشل أيضاً، وهذا لا يعود إلى المؤامرات التي حاكها هيرباز - أشكنازي، وإنما لسبب آخر تماماً يتعلق بمنزل أقامه غالانت على جزء من الأراضي التابعة للدولة بصورة غير قانونية. وفي الواقع، فإن المغزى الأساسي لوثيقة غالانت المزورة، ليس فقط

الصراع بين وزير الدفاع ورئيس أركانه، بقدر ما هو محاولة تمرد من جانب العسكر على إرادة القيادة السياسية. وهذه ليست أول مرة يحدث فيها مثل هذا التمرد، إذ سبق أن شهد الجيش الإسرائيلي تمرداً أيام حكم بن - غوريون، وكذلك خلال الخمسينيات في أثناء العمليات الإرهابية ضد مصر، وأيضاً في الثمانينيات. لكن بالتأكيد، فإن وثيقة غالانت فضحت المنافسة غير الشريفة الدائرة بين الأجهزة الأمنية، وتحكم العداوات الشخصية في قرارات المسؤولين الكبار في إسرائيل. ويعكس هذا كله وجهاً من وجوه الأزمة في القيادة العسكرية للجيش الإسرائيلي، ومشكلة المنافسة الشرسة وغير الشريفة على المناصب. ومما لا شك فيه أن هذا الصراع كان له انعكاساته على أداء الجيش في المواجهات العسكرية التي خاضها، وبصورة خاصة ضد "حزب الله" في لبنان، ولا سيما في حرب تموز ٢٠٠٦ التي برز فيها بوضوح عدم القدرة على التنسيق والتعاون بين مختلف أذرع الجيش

الإسرائيلي، على ما يقول الكاتبان.

### سلاح تشويه السمعة دفاعاً عن النفس

من أبرز الأدلة على تراجع مستوى الجيش داخله على الصعيد الإنساني، وعلى الصعيد الأخلاقي، هو استخدام الشائعات المغلوطة فيها داخل الجيش لتبرئة الضباط من التقصير في القيام بمسؤولياتهم. وقد ظهر هذا بوضوح كما يروي الكاتبان عبر الحملة التي شنتها أوساط من داخل الجيش بعد خطف الجنود الثلاثة في سنة ٢٠٠٦، إذ برز يومها أكثر من رواية مصدرها الجيش تلمّح إلى أنه كان على الجنود الثلاثة عدم الوجود في النقطة ٥٩٠ حيث جرت عملية الخطف، وأن السبب لوجودهم هناك هو لقاء مهزّب لبناني للمخدرات، وأن الجنود ربما كانوا أعضاء في شبكة لتهريب المخدرات. ودارت يومها شكوك في أن مصدر المعلومات شخص مقرب من أشكنازي الذي كان يتولى حينها منصب المدير

الخاصة والسرية جداً داخل أراضى العدو. ويبدو أن هذه الاستقلالية، وعدم الخضوع للرقابة، كان من نتائجهما بروز ظواهر مثل بوعاز هيرباز الذي يضع معلوماته السرية في خدمة مصالح الشخصية ومصالح أصدقائه.

رندة حيدر  
باحثة في الشؤون  
الإسرائيلية

الله" بصدد التحضير لعملية خطف. لكن هذه التعليمات لم تصل إلى الفرقة التي وقعت فيها عملية الخطف، بسبب سوء التنسيق بين قادة الفرق العسكرية المنتشرة في المنطقة. وثمة جانب آخر يعرضه الكتاب، هو الازدواجية في عمل المؤسسات الأمنية، وإعطاء فرق الوحدات السرية الخاصة استقلالاً كاملاً عن الجيش، وهذه الفرق هي التي تقوم بالعمليات

العام لوزارة الدفاع. وقد أثارت هذه الشائعات يومها ردات فعل حادة وسط أهالي الجنود الذين طالبوا بالدفاع عن كرامة أولادهم. المسألة الثانية التي يتوقف عندها الكاتبان في قضية خطف الجنود، هي عدم التنسيق بين قادة الألوية العسكرية. فقبل يوم على الحادثة اتُخذ قرار بعدم الاقتراب من النقطة عن بناء على معلومات استخباراتية تفيد بأن "حزب

من منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية

بالاشتراك مع النادي الثقافي العربي - بيروت

## فلسطين

### وصراعنا مع الصهيونية وإسرائيل

مجموعة مقالات ومحاضرات، ١٩٥٧ - ٢٠٠٩

وليد الخالدي

٤٧٩ صفحة ١٥ دولاراً